# مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكّمة -نصف سنوية

*Journal of Human Sciences*


**تصدرها كلية الآداب / الخمس**

**جامعة المرقب. ليبيا**

**Al - Marqab University- Faculty of Arts- alkhomes**

**26**

**العدد**

**السادس**

**والعشرون**

**مارس2023م**

**تصنيف الرقم الدولي (2710-3781/ISSI)**

**رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)**

# المنهج الفينومينولوجي عند إدموند هوسرل

إعداد: د. إسماعيل سالم فرحات

**الملخص :**

يتناول هذا البحث دراسة المنهج الفينومينولوجي عند إدموند هوسرل، من خلال محاولة استظهار السياق الفلسفي الذي ظهر فيه هذا المنهج، وكذلك بيان عناصر التحليل الفينومينولوجي عنده، لتبيان أهمية هذا المنهج الذي وَسَمَ بطابعه تيارات الفلسفة المعاصرة، وذلك اعتمادًا على منهج التتبُّع والسرد التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي.

**Abstract:**

This research deals with the study of Edmund Husserl's phenomenological approach by trying to show the philosophical context in which this approach appeared., as well as an explanation of the elements of his phenomenological analysis to show the importance of this approach, which was marked by the nature of the currents of contemporary philosophy, based on the historical traceability approach and the analytical descriptive approach.

**المقدمة:**

عبر الفينومينولوجيا مارس هوسرل تأثيرًا حاسمًا في مختلف فروع البحث المعاصر، فالفينومينولوجيا حوَّلت الفلسفة المعاصرة من معناها التقليدي "الميتافيزيقي" كونها اهتمت عبر تاريخها الطويل ببحث ومناقشة أكبر المباحث المعرفية: أصل الوجود، الحقيقة، النفس، العقل... إلى المعنى العلمي الدقيق الذي من شأنه أن يفيد الإنسان في أمر واحد ضروري جدًا هو التحقق من أن معارفه حقيقة صادقة ولها معنى، وبالتالي فإن الفينومينولوجيا بهذا المعنى تعدُّ علمًا، إذ قد سعى مؤسسها إدموند هوسرل إلى أن تكون علمًا دقيقًا يضاهي دقة العلوم الطبيعية التجريبية، أي أن يكون لها منهجًا أو طريقًا يتخذه الباحث عبر مراحل عمله، وهي في شقها الثاني ليست علمًا بالمعنى الحرفي للكلمة، فلا تحصر في المنهج، فهي إضافة إلى ذلك فلسفة ببعدها الأول الذي تتعدَّى موضوعاته الظاهرات الطبيعية، وبذلك فهي تُعدُّ أساسًا لبقية العلوم بوصفها العلم الكلي للمعرفة الإنسانية ولكافة العلوم الممكنة، فهي المنبع الذي يجب أن تنبثق منه جميع المعارف التي لا بد أن تستمد شرعية وجودها من الفينومينولوجيا التي هي الفلسفة الأولى لكل المعارف الممكنة.

**أهمية البحث:**

من خلال ما سبق تتبيَّن أهمية الفينومينولوجيا كمنهج فلسفي جديد وضعه إدموند هوسرل، ووسم بطابعه فيما بعد عددًا غير قليل من التيارات الفلسفية المعاصرة.

**إشكالية البحث:**

تتلخَّص إشكالية البحث في مجموعة من التساؤلات، لعل أهمها: ما المعنى الذي يقصده هوسرل من الفينومينولوجيا؟ وما السياق الفلسفي الذي ظهرت فيه لدى هذا

الفيلسوف؟ وما هي العناصر أو المفاهيم التي تشكل بنية أو خطوات المنهج الفينومينولوجي كما قدَّمها هوسرل.

**أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى بيان الخلفيات الفلسفية التي أدَّت بهوسرل إلى تقديم الفينومينولوجيا بوصفها منهجًا، وكذلك التعرُّف على عناصر التحليل الفينومينولوجي لديه.

**منهج البحث:**

سيتم الاعتماد في هذا البحث على منهج التتبع والسرد التاريخي، وكذلك المنهج الوصفي التحليلي في عرض أهم أسس وعناصر المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل وتحليلها.

**خطة البحث:**

ستتم دراسة موضوع البحث من خلال خطة بحثية مقسَّمة إلى مبحثين رئيسين، على النحو التالي:

المبحث الأول/ السياق الفلسفي لظهور الفينومينولوجيا عند هوسرل، وفيه سيتم تعريف الفينومينولوجيا، ثم التعرف على ملامح الأزمة في أسس العلوم الأوروبية، والتي دعت هوسرل إلى تقديم الفينومينولوجيا علمًا كليًا يقينيًا.

المبحث الثاني/ عناصر التحليل الفينومينولوجي عند هوسرل، بداية بالقصدية، ثم الرد الفينومينولوجي، وانتهاءً بالأنا الترنسندنتالية.

خاتمة تتضمن أهم النتائج التي تم التوصل إليها. وقائمة بأهم المصادر والمراجع

.

## المبحث الأول: السياق الفلسفي لظهور الفينومينولوجيا عند هوسرل

سأتناول في هذا المبحث السياق الفلسفي الذي ظهرت فيه فينومينولوجيا هوسرل*، وذلك من خلال التعريج بداية على لمحة حول تعريف الفينومينولوجيا وخلفيات نشوء المصطلح (أولًا)، ثم التعرف على ما أسماه هوسرل بأزمة الأسس في العلوم الأوروبية (ثانيًا)، لنختمه بنظرة على طرحه المتمثل في تأسيس الفلسفة علمًا كليًا يقينيًا (ثالثًا).

### أولًا- تعريف الفينومينولوجيا:

يُعرِّف لالاند في موسوعته الفلسفية، الظهورية أو الظاهراتية (phenomenology) في معناها العام بأنها: ((دراسة وصفية لمجموعة ظواهر، كما تتجلى في الزمان أو المكان، بالتعارض إما مع القوانين المجردة والثابتة لهذه الظواهر؛-وإما مع الحقائق المتعالية التي يمكنها أن تكون من تجلياتها؛- وإما مع النقد المعياري لمشروعيتها))[1]، وقريبٌ من هذا التعريف نجد تعريف جميل صليبا في مُعجمه الفلسفي يُعرِّف علم الظواهر (phenomenology) بأنه: ((الدراسة الوصفية لمجموع الظواهر كما هي عليه في الزمان والمكان، وهو مختلف عن

* إدموند هوسرل (1859-1938)، فيلسوف ألماني يعد مؤسس ومصمم الفينومينولوجيا البارع، من أهم مؤلفاته: فلسفة الحساب، أبحاث منطقية، تأملات ديكارتية، أزمة العلوم الأوروبية، للمزيد راجع: دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوندريتش، ترجمة: نجيب الحصادي، ج2، ظ-ي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، د.ت، ص991.

([1]) موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، باريس، المجلد 2، H-Q، ط2، 2001، ص973.

دراسة أسباب هذه الظواهر وقوانينها المجردة الثابتة، أو عن البحث في الحقائق المتعالية المقابلة لها، أو عن النقد المعياري لمشروعيتها))[1].

ونفهم مما سبق، إن الفينومينولوجيا باختصار هي علم الظواهر ودراستها على طريقة وصفية[2]، وطالما تم ترجمة المُصطلح عربيًا لدى الغالبية بمُركَّب (علم الظواهر)، فإنه بالعودة إلى معاجم اللغة العربية نجد مثلًا الجرجاني في تعريفاته يُعرِّف العلم بأنه: ((الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخصُّ من الثاني، وقيل العلم: هو إدراك الشيء على ما هو به ... وقيل: العلم صفة راسخة يُدرك بها الكليات والجزئيات ...، أما الظاهر: فهو ما ظهر المراد للسامع بنفس الكلام... وضده الخفي، وهو ما لا يُنال المراد إلا بالطلب...))[3]، وبالتالي فإن معنى كلمة الظاهر في اللغة العربية هو ما ظهر من الشيء، وظاهر الشيء يقابل باطنه.

وفي دليل أكسفورد للفلسفة نجد المقابلة بين فينومينا phenomenon ونيومينا nomenon، إذ يعني هذان اللفظان حرفيًا "الأشياء التي تظهر" و "الأشياء التي يفكر فيها". الأفكار والمثل الأفلاطونية نيومينا، والفينومينا أشياء تعرض نفسها للإحساسات. في استعارة أفلاطون الخاصة بالخط المنقسم، كل ما يقع أعلى الخط المقسم نيومينائي، وكل ما يقع تحته فينومينائي... تشكل هذه المثنوية الخاصية

---

([1]) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج2، باب الظاء، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت–لبنان، 1982، ص35.

([2]) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص352.

([3]) معجم التعريفات، الجرجاني، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، باب العين، رقم (1231)، ص130، باب الظاء، رقم (1131)، ص120.

الفارقة لثنائية أفلاطون، كون النيومينا والعالم النيومينائي مواضيع المعرفة العليا، الحقائق، والقيم، إنما يُشكل تركة أفلاطون الأساسية في الفلسفة[1].

إن مصطلح الفينومينولوجيا phenomenology يتكوَّن من مقطعين: phenomena وتعني الظاهرة، logy وتعني الدراسة العلمية لمجالٍ ما، وبذلك يكون معنى المصطلح العلم الذي يدرس الظواهر، وليس المقصود هنا ظواهر العالم الخارجي، أي الظواهر الطبيعية الفيزيائية، بل المقصود منها ظواهر الوعي، أي ظهور موضوعات وأشياء العالم الخارجي في الوعي، وبذلك تكون الفينومينولوجيا هي دراسة الوعي بالظواهر وطريقة إدراكه لها وكيفية حضور الظواهر في خبرته، فهي لا تهتم بما يصاحب عملية المعرفة من حالات ذهنية أو وظائف عضوية ترجع إلى الجهاز العصبي، بل بكيفية إدراك الوعي للموضوع ووصوله إلى معرفة موضوعية ويقينية حوله، أي بالاستعدادات المعرفية الموجودة لدى الذات الإنسانية والتي تمكنها من تأسيس معرفة يقينية، وهذه الاستعدادات ليست سيكولوجية، بل مرتبطة بالوعي الخالص قبل أن يتصل بأي خبرة تجريبية[2].

ويُجمع الباحثون على أن أول من استعمل مصطلح الفينومينولوجيا هو الفيلسوف والرياضي السويسري الألماني يوهان لامبرت* في كتابه "الأورجانون

---

([1]) دليل أكسفورد للفلسفة، سبق ذكره، ص706.

([2]) انظر في ذلك: أشرف منصور، عناصر التحليل الفينومينولوجي عند هوسرل، متاح بصيغة word على صفحة المؤلف في موقع: www.academia.com، ص4، تاريخ الدخول: 2021/04/04، عند الساعة: 01:00ص.

* يوهان لامبرت (1728– 1777) فيلسوف ورياضي وفلكي سويسري – ألماني من أصل فرنسي، له عدد من الاكتشافات في علم المثلثات والمنظور، صيغة المذنبات وغيرها، إضافة لكتابه الأشهر بالألمانية الأورغانون الجديد، والذي يتشابه في العنوان مع كتاب لفرانسيس بيكون الفيلسوف الإنجليزي، راجع للمزيد: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2006، ص570.

الجديد" عام 1764، ثم كانط* في كتابه "الأسس الميتافيزيقية الأولى للعلم الطبيعي" عام 1786، ومن بعدهم هيغل* في كتابه "فينومينولوجيا الروح" عام 1807، غير أن أول من استعمل هذا المصطلح للدلالة على منهج فكري واضح المعالم كان إدموند هوسرل[1]، الذي عرَّف الفينومينولوجيا الخالصة بأنها: علم الوعي الخالص بما هو كذلك (الشعور المحض)[2]، أي أنها المنهج الدارس لظهور الماهيات في الوعي، أي الحقائق الموضوعية للأشياء طالما كانت متميزة عن طابعها الحسي[3].

ويُجزم أغلب من أرَّخوا لتاريخ الفكر الفلسفي أن مصطلح الفينومينولوجيا عُرف في الفلسفة الكلاسيكية كمصطلح تابع للدراسات النفسية، ويعترف هوسرل بالفضل لعالم النفس فرانز برنتانو* في ميلاد الفينومينولوجيا وخاصة كتابه الشهير (كشف النفس)، والذي نبَّه من خلاله إلى ضرورة فهم الظاهرة النفسية انطلاقًا من القصد،

* إمانويل كانط (1724 – 1804) فيلسوف ألماني اشتهر بسلسلته في النقد: نقد العقل الخالص، نقد العقل العملي، نقد ملكة الحكم، وكتاب: الدين في حدود مجرد العقل، راجع: دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوندريتش، ج2، ظ– ي، سبق ذكره، ص762.

* جورج فلهلم فريدريش هيغل (1770 – 1831) فيلسوف ألماني، من أهم كتبه: فينومينولوجيا الروح، موسوعة العلوم الفلسفية، مبادئ فلسفة الحق، دروس في فلسفة التاريخ، راجع للمزيد: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، سبق ذكره، ص721.

([1]) انظر في ذلك: أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص35.

([2]) إدموند هوسرل، الفينومينولوجيا الخالصة، المحاضرة الافتتاحية في فرايبورغ 1917، نقلًا عن: عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص169.

([3]) انظر: أشرف منصور، مرجع سابق، ص6.

* فرانز برنتانو (1838– 1917) فيلسوف ألماني، من أهم كتبه عدا المذكور في المتن: دلالات الوجود عند أرسطو، مذهب أرسطو في أصل الذهن البشري، تصنيف الظاهرات النفسية، للمزيد راجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، سبق ذكره، ص169.

ولذلك يمكن القول بأن علم النفس هو الأرضية التي نبتت منها الفينومينولوجيا، وخاصة من خلال ما سُمِّيَ بعلم النفس القصدي، وانبثق عن هذا الميلاد ارتباط العلوم الاجتماعية والإنسانية به ارتباطًا وظيفيًا[1].

وعلى ذلك، فإن "العودة إلى الأشياء عينها" التي هي عودة للماهيات، هي الشعار الفلسفي الرئيسي للفينومينولوجيا بما هي منهج وأسلوب تفكير متجدد، وهي المبدأ الذي سيعتمد عليه هوسرل على نحوٍ صريح أو ضمني خلال كامل حِقَب مسيرته الفينومينولوجية، وقد استخدمه لأول مرة بوضوح في كتابه (الفلسفة باعتبارها علمًا صارمًا) مُتحدثًا عن المنهج الفينومينولوجي، حيث يقول: ((أُفٍّ على تفاهة تحاليل الخطابات؛ الأشياء عينها هي التي ينبغي علينا أن نستفهمها، لنعُد إلى التجربة، إلى الحدس، الذين بإمكانهما فقط مدّنا بالمعنى والمشروعية المعقولة لكل خطاباتنا))، وفي موضع آخر يقول: ((التحفيز على البحث لا ينبع من الفلسفات، وإنما من الأشياء والمشكلات))[2].

وبعد إلقاء هذه النظرة الموجزة حول معنى الفينومينولوجيا في العموم، وخلفيات نشوئها كمصطلح وكمنهج، ننتقل الآن لمعرفة سياق ظهورها كمنهج لدى هوسرل.

(1) عبدالقادر بوعرفة، المنهج الفينومينولوجي في العلوم الإنسانية، اللحظة الإيبوخية أُنموذجًا، مقال متاح على موقع شبكة ضياء على الرابط: www.diae.net ، تاريخ الدخول: 2021/04/07، عند الساعة: 23:10.

(2) انظر في ذلك: يوسف بن أحمد، المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، تصدر عن الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية، ع40، 41، 2006، ص58، 59.

**ثانيًا/ أزمة الأسس في العلوم الأوروبية:**

إن الفينومينولوجيا تحاول أن تبدأ مما يتركه العلم بلا توضيح، على أنه وقائع جاهزة وبديهيات واضحة بذاتها ومُسلَّمٌ بها، تتأسَّس بناءً عليها حقائق ومعارف، أن تبدأ من الخبرة المباشرة بالعالم والأشياء، أي من ماهية الأشياء كما تبدو في خبرتي، وليس بوصفها وقائع مستقلة عني، فالعلم يتجاهل هذه المنطقة وبالتالي يتجاهل الإنسان، ويفقد دلالته الإنسانية، وهذا تحديدًا ما يقصده هوسرل بأزمة العلوم الأوروبية التي هي في حقيقتها أزمة الإنسان الأوروبي، فالعلم فقد دلالته بالنسبة إلى الحياة البشرية[1]، فقد أصبحت روح هذا الإنسان الأوروبي مريضة حينما أصبح مستبعدًا ومنسيًا، وإذا كان هناك علم للطب يمكن أن يداوي بدن الإنسان، فليس هناك علم من العلوم الوضعية يمكن أن يداوي روحه[2]، وهو ما يعني أن العلم ينطوي على قصور وأنه في حاجة إلى أساس من نوع آخر، ولم يقتصر نقد هوسرل على العلوم الطبيعية وحدها، بل امتد إلى الرياضيات أيضًا، على الرغم من أن أول أعماله الكبرى (فلسفة الحساب أو الرياضيات) والذي فسَّر فيه منشأ التصورات الرياضية تفسيرًا مشوبًا بمسحة سيكولوجية، إلا أنه رأى فيما بعد أن المفاهيم والتعريفات الصورية المجردة التي تقدمها الرياضيات مستخلصة عن طريق التجريب والاستدلال، ولذلك فإن ماهياتها هي ماهياتٌ تجريبية، بعكس الماهيات

(1) نظر في نفس المعنى: فتحي المسكيني، أوروبا الأخرى...مقاطع من نقد العقل الهووي، مقال منشور على موقع مجلة الفيصل على الرابط: www.alfaisalmag.com ، تاريخ الدخول: 2021/04/07، عند الساعة: 23:33.

(2) إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، ترجمة: إسماعيل المصدق، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008، ص517.

الفينومينولوجية فهي ماهيات عيانية مستمدة من الحدس المباشر ، وليس في إدراك ووصف هذه الماهيات أية عملية استدلالية[1].

ومن نفس منطلق الماهيات، ينتقد هوسرل العلوم الإنسانية، فأزمة العلم أصبحت أكثر عمقًا ووضوحًا عندما حاولت العلوم الإنسانية تطبيق منهج العلوم الطبيعية، وتحولت هي الأخرى إلى علوم للوقائع، والأزمة هنا أعمق؛ لأنه إذا كانت العلوم الطبيعية قد استبعدت الإنسان من الطبيعة، وجعلت منها مجرد وقائع مستقلة عن خبرته، فإن العلوم الإنسانية جعلت الإنسان مجرد طبيعة، مجرد واقعة من وقائعها، وهذا يظهر بوضوح في حالة علم النفس التجريبي[2]، فقد أدَّى تقي البحوث السيكولوجية والاجتماعية والتاريخية إلى تحول كل علم منها إلى ((نزعة ism)) ترى كل شيء بمنظارها وترد كل شيء إلى مقولاتها، فالسيكولوجيون يردون كل شيء إلى علم النفس بما فيها قوانين المنطق، والاجتماعيون يفسرون كل شيء تفسيرًا اجتماعيًا حتى التذوق الفني، والتاريخيون يرون منطق التاريخ مهيمنًا على كل الأشياء بما فيها صانع التاريخ نفسه (الإنسان)[3]، فالنزعة السيكولوجية التي ترتبط بالتجريبية ارتباطًا وثيقًا تجعل من عمليات الوعي والمعرفة – بما في ذلك العمليات المنطقية – مجرد عمليات نفسية أو معتقدات سيكولوجية مستمدة تجريبيًا من كثرة الملاحظات أو الوقائع، وكأن العمليات المعرفية هي مجرد وقائع تجريبية أو أحداث سيكولوجية، ومن هنا كان نقد هوسرل للسيكولوجية، فهو يرفض ربط العمليات المعرفية والشعورية بعلم النفس في صورته التجريبية، بهدف تأسيس علم نفس جديد هو علم النفس الفينومينولوجي أو الماهوي؛ لأن علم النفس التجريبي

(1) انظر: سعيد توفيق، الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992، ص19، 20.

(2) انظر: المرجع السابق، ص20.

(3) انظر: عادل مصطفى، مرجع سابق، ص183.

شأنه شأن سائر علوم الوقائع الوضعية في حاجة إلى مراجعة وإلى أساس متين ليقوم عليه[1].

فالنزعة السيكولوجية مثلًا تريد أن تجعل المنطق مجرد فرع من فروع علم النفس، وكأن الماهية الذهنية لأية قضية من القضايا المنطقية يمكن أن ترتد إلى البواعث الذاتية التي صاحبتها، حيث ترى هذه النزعة أن تبرير الاستدلال الاستنباطي والحقائق المنطقية أو الرياضية من قبيل 2+2=4 يستند إلى أنها تمثل حقائق أساسية معينة عن الطريقة التي نفكر بها، ولا شك أن من شأن هذه النزعة الطبيعية أن تشجع شتى ألوان النسبية، فإذا كانت القواعد المنطقية تعكس قوانين سيكولوجية للفكر، لكان من الجائز لهذه القوانين أن تختلف وتتبدَّل، ولذلك يرفض هوسرل في كتابه (أبحاث منطقية) النزعة السيكولوجية وكل تعميمٍ للنزعة الطبيعية[2].

ومن ذلك يتبيَّن أن الأزمة في الأسس التي تقوم عليها العلوم، هي المحرك الأساس لتفكير هوسرل، وهي الدافع له إلى نقد هذه العلوم بسبب تهافت أسسها، والاعتقاد خطأً بأنها أسس يقينية محكمة، وهو ما أدى إلى التقليل من قيمة العنصر الإنساني وتقهقر الفلسفة التي أصبحت مجرد نظريات فردية متهافتة، يدَّعي التجريبيون أنها عبارة عن مشكلات تأملية ليست للإنسان حاجة ملحة إليها مثل حاجته إلى العلم التجريبي، فقد أصبحت الفلسفة المرتبطة بعلوم العصر التجريبية عبارة عن وقائع تاريخية مفككة ومجرد مذاهب فردية متعددة وآراء شخصية متعارضة، وكلها تتوصل إلى حقائق نسبية تختلف من فيلسوف إلى آخر ومن عصر إلى غيره، وهو ما يتعارض مع طبيعة الفلسفة التي هي في جوهرها بحث عن الحقائق الكلية الثابتة، خاصة أنها هي التي تساعد على تقدم الحياة والروح الإنسانية وتدفعها في وحدة داخلية لكي تدرك العالم وكل حقائق الوجود من خلال

(1) انظر: سعيد توفيق، مرجع سابق، ص21.

(2) انظر: عادل مصطفى، مرجع سابق، ص183 وما بعدها.

التجربة الحية، وهذا ما افتقدته الفلسفة بسبب سيادة النزعة التجريبية وإغفال العنصر الإنساني[1].

وبالتالي يمكن القول بأن فلسفة هوسرل قامت بالأساس كرد فعل ضد هذه النزعة العلمية المتطرفة، التي تقوم على الاعتقاد بأن كل شيء قابل للشرح والتفسير في ضوء العلم الطبيعي، فالعلم يقوم على افتراضات مسبقة عن طبيعة الواقع يسلم بها تسليمًا ولا يضعها موضع التساؤل، ومن ثم فهو لا يملك تقديم تفسيرات أولية بالمعنى الذي يصلح أن يكون نقطة انطلاق قصوى، أو ركيزة أولى لأي تفسير عقلاني للعالم، ذلك أنه ثمة تحت نظرة الحس وتحت العلوم الطبيعية شبكةٌ من الفروض المسبقة عن طبيعة الواقع، وهي فروض تتخطى الظواهر أو مفارقة، وهذه النظرة قبل الفلسفية إلى العالم هي ما يطلق عليه هوسرل اسم (الموقف الطبيعي)، فالمنطق والرياضيات هما أيضًا لم يَسلَمَا من المسلمات والفروض المسبقة؛ لأنهما داخل مجاليهما لم ينتقدا جميع الأسس التي تقوم عليها المفاهيم الأساسية وقواعد الاستدلال ولم يضعا الأسس نفسها موضع تساؤل؛ وعليه فإن العجز –كما يرى هوسرل– عن تأسيس العقلانية على أسس وطيدة قد أدى إلى النزعة اللاعقلية وإلى البربرية، ولكن الخطأ هنا ليس في العقلانية، بل في تصور أن العقلانية والمذهب الطبيعي هما شيءٌ واحد وأن المذهب الطبيعي العلمي لديه تفسيرات عقلانية نهائية، الخطأ هو في هذا التصور الذي متى تبين فشله صارت العقلانية نفسها مهددة بالنبذ، بينما مساواة العقلانية بالمذهب الطبيعي هو ما يجب أن يُنبذ، فعجز

(1) إدموند هوسرل، الفلسفة كعلم دقيق، نقلًا عن: سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل، دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1991ص116 وما بعدها.

العلم الطبيعي عن تقديم حقائق يقينية نهائية عن العالم ينبغي ألا يُعد فشلًا للمشروع العقلاني ذاته[1].

ومن هنا، فإنه برغم التقدم الذي أحرزته العلوم الوضعية التجريبية، إلا أن الغموض ما زال يكتنف أسسها الذاتية ومبادئها الأولية، فالتحليل التجريبي المادي الخارجي لا يصلح تمامًا لتفسير الظواهر الإنسانية الحية، ولا يصلح أيضًا لتأسيس علم كلي دقيق يعتمد على مبادئ يقينية مطلقة؛ لأن الارتداد في تفسير الظواهر الطبيعية عامة والإنسانية خاصة إلى ظروف خارجية، يجعل الحقيقة نسبية متغيرة، لذلك أصبحت العلوم تحتاج إلى إصلاحات جذرية جديدة[2].

**ثالثًا– تأسيس الفلسفة علمًا كليًا يقينيًا:**

لقد قرَّر هوسرل في المقال الذي كتبه لدائرة المعارف البريطانية عام 1927 عن الفينومينولوجيا، أن هذه الأخيرة تشير إلى منهج جديد في الوصف الفلسفي، ألا وهو ذلك المنهج الذي يهدف إلى إقامة "نظام سيكولوجي أولي" يكون بمثابة ركيزة متينة لإقامة علم نفس تجريبي من جهة، ولوضع فلسفة كلية شاملة تكون بمثابة "معيار " لفحص منهجي لسائر العلوم من جهة أخرى. فالفينومينولوجيا تريد للفلسفة أن تصبح علمًا دقيقًا كليًا ومحكمًا، أو دراسة وصفية محضة، فهي لهذا تأخذ على الفلسفة الكلاسيكية اهتمامها بالتركيبات العقلانية القائمة على مفاهيم مجردة، كما تعيب على الكثير من فلاسفة الماضي اهتمامهم بتحليل المفاهيم النفسية الباطنية وكأنما هي مجرد حالات ذاتية مستقلة تشير إلى عالم شخصي قائم بذاته، ومن هنا فإن هوسرل يريد للفينومينولوجيا أن تضرب صفحًا عن علوم الطبيعة، وأن تتخلى عن كل نزعة تجريبية، لكي تقتصر على الدراسة الوصفية البحتة لوقائع الفكر

(1) انظر: عادل مصطفى، مرجع سابق، ص185 وما بعدها.

(2) انظر: سماح رافع محمد، مرجع سابق، ص117.

والمعرفة، على ما تكون عليه في وعينا، وبالتالي فإن فلسفة الظواهر لا تتخذ من أية نظرية من نظريات المعرفة نقطة انطلاق لها، بل هي ترفض كلًا من الواقعية والمثالية، لكي تبحث من جديد عن "فلسفة أولى" تكون بمثابة "علم البدايات" على حد تعبير هوسرل، فالنشاط الفلسفي الذي اضطلع به هوسرل لا يمكن أن يفهم إلا باعتباره نقدًا للمعرفة وللعلوم التي كانت في عصره، ولطرائقها الخاصة في المعرفة، والبحث عن أساس متين لمعرفة جديدة، ولعلم فلسفي بمعنى الكلمة، علم يملك وعيًا تامًا بشتى المسائل التي يطرحها، وكافة المشكلات التي ينشد حلها[1].

وبالتالي فإن هوسرل حينما انتقد الفلسفة والعلم، لم يكن في ذهنه أن يستبدل فلسفة بفلسفة، ولا علمًا بعلم، بل أراد أن يزحزح البناء القديم عن موضعه ليحفر تحته منقبًا عن الجذور والبدايات، أي عن أساس متين يمكن أن يقوم عليه هذا البناء فلسفيًا كان أو علميًا، وقد التمس هوسرل هذه الجذور والبدايات في الظواهر والأشياء نفسها، أو ما سبق وأن أسميناه بالعودة إلى الأشياء ذاتها أي ماهياتها، فالفينومينولوجيا قبل أن تكون فلسفة للماهيات، فهي فلسفة للأشياء والظواهر، وهذه العودة للأشياء ذاتها لن تفهم إلا من خلال فهم خصائص الأشياء أو الظواهر[2]:

إن الظواهر الفينومينولوجية ليست ظواهر كانطية ولا هيغلية، فكانط قد وضع عالم الظواهر مقابل عالم الشيء في ذاته، فلا تُعرف الأشياء في ذاتها، وإنما تُعرف فقط ظواهر الأشياء من خلال تصوراتنا، أما هيغل فقد نظر إلى الظواهر على أنها تجليات لحقيقة عليا هي المطلق أو الروح في مسيرته الزمنية، وفي مقابل ذلك جاءت الفينومينولوجيا لتبدأ من الأشياء أو الظواهر ذاتها، فكان موقف هوسرل رفضًا للموقفين الكانطي والهيغلي، فهو يرفض تلك الثنائية الكانطية المتأصلة في

(1) انظر: زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ص318 وما بعدها.

(2) لمزيد التفصيل انظر: سعيد توفيق، مرجع سابق، ص24.

تاريخ الفلسفة منذ أفلاطون، بين الظاهرة والنومين أو بين المظهر والحقيقة، كما يرفض النزعة البنائية التي ينتقل فيها هيغل من الظواهر إلى العقل المطلق الذي يفترض أن هذه الظواهر تكشف عنه، إلا أن هوسرل يتفق معهما على أن الظواهر فقط هي المعطى، وفي هذه الظواهر فقط تعطى ماهية ما يكون معطى، بمعنى أن ماهية الظواهر نكتشفها في الظواهر نفسها، فالظواهر ليست مجرد مظاهر، وإنما تنطوي على معناها في باطنها.

وعلى ذلك، فإن العودة إلى الأشياء أو الظواهر في ذاتها، إنما تعني الدعوة إلى توجيه مسار البحث الفلسفي ليبدأ من الجذور، أي من الأشياء ذاتها لا من التصورات، من المعطيات والظواهر لا من النظريات، فالأشياء ذاتها لا تصوراتنا عنها، هي التي ستخبرنا بكل شيء، ومن هنا شعور هوسرل بأن الفلسفة قد اهتمت اهتمامًا بالغًا بالتصورات على حساب المعطيات، فوقعت بالتالي في أسر عادة البدء بمجموعة من التصورات، وجعلت النظرية نتاجًا لنوع من التلاعب المنطقي بهذه التصورات، ولذلك أراد أن يجعل من الفلسفة بحثًا بلا تصورات أو فروض مسبقة، وأن تقوم على المعطيات أو الأشياء ذاتها، والتحرر من الفروض المسبقة هنا إنما يتعلق بالفروض غير المنقحة، وغير المحققة، وغير القابلة للتحقق، ومن هنا كان الارتباط الوثيق بين مفهوم "العودة إلى الأشياء" ومفهوم "التحرر من الفروض المسبقة" كمفهومين أساسيين داخل نموذج الفلسفة الأولى، والبدء بما يكون معطى لنا في الخبرة المباشرة، وعدم تجاوزه، أي ما يظهر للوعي كخبرات معيشة قابلة للوصف والتحليل، وبذلك تصبح الفينومينولوجيا فلسفةً أولى وعلمًا يقينيًا وقبليًا صارمًا، بحيث ترتبط قضاياها التي تم التحقق منها وفقًا لمنهج الفينومينولوجيا، ارتباطًا نسقيًا، وهكذا يكون العمل الفلسفي نتاجًا لمجهود جماعي وليس مجهودات فردية منفصلة، وتصبح الفلسفة علمًا منهجيًا نسقيًا تكامليًا، لا أنساقًا فردية ومذهبية، وفضلًا عن ذلك تكون الفينومينولوجيا علمًا كليًا بحكم كشفها للماهيات

التي يفترضها العلم الجزئي، فإذا كان الأخير يهتم بالكيفية التي تسير عليها الأشياء، فإن الفينومينولوجيا تهتم بماذا تكون الأشياء ذاتها، ومن هنا تكون علمًا كليًا[1].

وبذلك، فإن الفينومينولوجيا عند هوسرل تصبح هي العلم الكلي والفلسفة الأولى التي تمهد لفلسفة ذات مجال أوسع من مجال العلم التجريبي التقليدي، وأكثر رحابة ودقة من مذاهب الفلسفة المتعددة؛ لأنها تمثل الأرضية اليقينية الشاملة وتقدم الشروط القبلية الضرورية لكل فلسفة دقيقة وكل معرفة صحيحة، وموضوع الفينومينولوجيا بوصفها علمًا كليًا هو الأنا المتعالية والخالصة التي تحمل في طيَّاتها الماهيات الأساسية للوجود المادي، وذلك من خلال الشعور المرتبط بهذه الأنا، وهو الشعور الخالص وليس الشعور المادي المتغير الذي تقوم بدراسته العلوم الوضعية، وذلك لدراسة هذا الشعور الخالص من أجل إدراك الماهيات الحية الكامنة فيه، والتي تحمل في ذاتها كل بداهةٍ ممكنة[2].

وهكذا بعد أن تتبَّعنا السياق الفلسفي والبدايات الأساسية لظهور الفينومينولوجيا عند هوسرل، ننتقل الآن لنحاول التعرف على عناصر التحليل الفينومينولوجي لديه.

## المبحث الثاني: عناصر التحليل الفينومينولوجي عند هوسرل

إن ما سيتم تناوله في هذا المبحث هو الكشف عن المفاهيم الأساسية التي استخدمها هوسرل في التحليل الفينومينولوجي، والتي تتمثل أساسًا في ثلاثة عناصر أو مفاهيم: القصدية (أولًا)، الرد الفينومينولوجي، الإبوخيه (ثانيًا)، الأنا الترنسندنتالية (ثالثًا)، وهو ما نتولى عرضه وفقًا للتالي:

(1) انظر: سعيد توفيق، مرجع سابق، ص23 وما بعدها.

(2) انظر: سماح رافع محمد، مرجع سابق، ص125 وما بعدها.

**أولًا– القصدية:**

إن مهمة الفينومينولوجيا هي أن تحلل فعل الوعي الذي تُعطانا وفقَه ظاهرة من الظواهر، وبالتالي يتعلق الأمر إذً بضرب من الوصف التأملي[1]، فظهور الموضوعات في الوعي ليس تلقيًا لها سلبيًا لها من الخارج، ذلك أن الوعي ليس وعاء يتم فيه جمع ما تتحصل عليه الحواس، فحضور الموضوع في الوعي يكون نتيجة قصد الوعي إليه، وليست القصدية هي أن يقصد الوعي إلى الأشياء الخارجية بهدف إدراكها، بل القصدية تكون نحو الموضوع الحال في الوعي بهدف معرفته وإصدار الحكم عليه، ومعنى ذلك أن الحكم ليس وضعًا لشيء خارجي تحت تصور أو مقولة، بل هو توجه قصدي من قِبَل الوعي نحو الموضوع الحال فيه منذ البداية[2]، فالقصدية بهذه المثابة هي أهم مفاهيم وعناصر التحليل الفينومينولوجي من حيث كونها تقوم على أن كل وعي هو وعي بشيء ما، والوعي هو التجربة أو الخبرة، والقصدية هي علاقة الوعي بالعالم وبالأشياء[3].

وقد ظهرت فكرة القصدية أولًا لدى برنتانو أستاذ هوسرل، والذي استخدمها في سياق تمييزه بين علم النفس التجريبي وعلم النفس الوصفي، فقد ذهب برنتانو إلى أن علم النفس الوصفي لا يدرس الوعي من وجهة نظر عضوية أو سلوكية كما يفعل علم النفس التجريبي، بل يدرسه على أنه وعي قصدي، ومن هنا اعتقد أنه اكتشف ماهية الذهني أو ماهية الوعي (الشعور)، بوصف القصدية هي القاسم المشترك بين كل ما هو ذهني أو شعوري، فخاصية كل شعور هي أن يكون شعورًا بشيء، وكل ما هو فعل ذهني أو موقف عقلي هو موجه نحو موضوع "قصدي"،

(1) جان هرش، الدهشة الفلسفية (تاريخ للفلسفة)، ترجمة: محمد آيت حنا، منشورات الجمل، بيروت، 2019، ص427.

(2) أشرف منصور، مرجع سابق، ص23.

(3) شايع الوقيان، ماهي الفينومينولوجيا، مسودة كتاب غير منشورة، ص8.

فالقصدية عند برنتانو إذً تعني الإشارة إلى موضوع داخل الوعي، أي مضمون معين داخله، أو موضوعية محايثة، فالوعي لا يحتوي فقط على أحداث أو حالات ذاتية سيكولوجية، بل يتضمن كذلك موضوعية حقيقية وليست واهمة أو من صنعه هو، لكنها في نفس الوقت تنتمي إليه لأنها تظهر فيه، فالموضوعية عند برنتانو إذًا هي موضوعية ناتجة عن قصدية الوعي، وهذه الأخيرة تتجه نحو موضوعها وتعنيه بصرف النظر عما إذا كان الموضوع موجودًا بالفعل أم غير موجود[1]، وحيث إن كل شعور هو شعور بشيء ما، فإن فكرة القصدية بهذه المثابة وبوصفها ماهية الذهني، تُعدُّ مناوئة لنظرة ديكارت الثنائية إلى العقل بوصفه جوهرًا مستقلًا قد يوجد بمعزل عن كل موضوع شعوري، ففي القصدية يعد الفكر (الكوجيتو) وموضوعات الفكر (المُفكَّر فيه) وحدة لا انفصام لها[2]، فالذات والموضوع هنا متلازمان ومتضايفان وليس بينهما انفصال أنطولوجي، غير أن هذا التلازم لا يجعل الموضوع جزءًا من الذات، بل هما شيئان مختلفان لكن متلازمان تلازم الورقة وظهرها، وهذا التلازم هو أساس القصدية، فإذا كان الكوجيتو الديكارتي يقطع منتصف الطريق فيقول (أنا أفكر...) فإن هوسرل يتم الطريق بقوله: (أنا افكر في شيء ما...)[3].

أخذ هوسرل عن أستاذه فكرة القصدية وتحولت لديه إلى فعل للوعي ينتج به الموضوعية، فالموضوع الذي يشير إليه الوعي ليس مجرد شيء يقصد إليه الوعي، بل هو من إنتاج الوعي ذاته، فالأفعال القصدية هي المنتجة للموضوعية، وبهذا اختلف هوسرل عن أستاذه الذي ذهب إلى أن الوعي لا يقوم بشيء إلا أن يقصد موضوع محايث له، بعكس هوسرل الذي ذهب إلى أن القصدية لا تعني مجرد

(1) أشرف منصور، مرجع سابق، ص24.، عادل مصطفى، مرجع سابق، ص187.

(2) عادل مصطفى، مرجع سابق، ص189.

(3) شايع الوقيان، مرجع سابق، ص9.

قصد الوعي إلى موضوع، بل تعني أنها تنتج الموضوع ذاته، وجعل يستخلص منها عدة نتائج، منها أن فكرة القصدية تكشف مواطن القصور في المذهب الطبيعي السببي، فمجال الشعور وموضوعاته القصدية لا يتسنى فيه فهم الارتباطات إلا في ضوء المعنى والتبرير العقلي، وهو ما لا يقبل الرد إلى مجرد تفسيرات سببية أو تفسيرات سيكولوجية ترابطية، فالفينومينولوجيا عند هوسرل تأخذ على عاتقها تحليل الوعي، والوعي، بما هو قصدية، لا يقبل أي سببية، فهوسرل –كما مرَّ بنا– يحارب السيكولوجيا المموضعة التي تحاول تفسير الوعي بإرجاعه إلى علل خارجية، كما يحارب النزعة السيكولوجية الاستبطانية، التي تسعى إلى اختزال الوعي في تفرعاته السببية الباطنية، فالسببية بالنسبة لهوسرل مقولة لا يمكن أن تنطبق على الوعي، وشعار هوسرل "العودة إلى الأشياء في ذاتها" ليس قطعًا دعوة إلى واقعية ساذجة، إنما يعني أنه لا بد لنا من أن نمسك بماعية الوعي، إن أردنا أن نفهم كيف يصير أي موجودٍ، كيفما كان، قابلًا لأن يُدرك من طرف الوعي القصدي[1].

وعلى ذلك، فإن الخبرة القصدية إذًا هي خبرة الوعي بالموضوع عن طريق المعنى المقصود من قِبَل الذات والذي يرتبط مباشرة بالموضوع، وكما يقرب مفهوم القصدية الذات من الموضوع، فهو يقرب الموضوع أيضًا من الذات، ويتبيَّن هذا من قول هوسرل بأن كل العالم الواقعي الموضوعي عبارة عن تمثل للوعي Representation، فالقصدية تعبر عن أن الوعي يحمل في ذاته باعتباره كوجيتو (أنا أفكر) موضوعه المفكَّر فيه، وأن القصدية الصريحة هي كوجيتو مكتمل[2]، ويعني بذلك أن الذات عندما تكون واعية بدورها القصدي في المعرفة، تكون هذه القصدية كوجيتو صريح، أي وعيًا ذاتيًا بكون الذات مفكرة، أي وعيًا

(1) جان هرش، مرجع سابق، ص432، 425.

(2) Husserl, Logical Investigations, Vol. I, PP. 142-156.

بالذات أثناء العملية المعرفية. ومعنى هذا أنه يوجد مستوى آخر من القصدية غير المكتملة تكون فيه الذات غير واعية بأفعالها المعرفية وتعتقد في أن الموضوعية هي في تلقيها السلبي للأشياء من العالم الخارجي، في حين تكون الموضوعية نتيجة لأفعال الوعي التي لا تدركها الذات بالكامل[1]، وهذا المستوى غير الواعي أو التلقائي للقصدية لم يؤكد عليه هوسرل بما فيه الكفاية، كما لم يميز بدقة بين قصدية واعية وقصدية غير واعية، لكن تظهر معرفته بقصدية غير واعية من بعض الإشارات المتفرقة في مؤلفاته، مثل قوله: ((إن القصدية الحية تقودني إلى الأمام، إنها تحددني عمليًا في كل توجهاتي، بما فيها توجه تفكيري الطبيعي... إن القصدية الحية تقوم بكل هذا على الرغم من أنها يمكن أن تكون غير صريحة وغير مكشوفة وبالتالي بعيدة عن انتباهي))[2].

إذًا يتضمن الذهني دائمًا إحالة إلى موضوع أو محتوى ليس شرطًا أن يكون موجودًا بأي معنى عدا كونه الموضوع المقصود في فعلنا الذهني، وموضوع الفينومينولوجيا هو الطبيعة الماهوية لهذه المحتويات منظورًا إليها باعتبارها موضوعات قصدية صرفًا للأفعال الذهنية، فالظواهر هي الموضوعات النهائية لعلمٍ بلا فروض مسبقة، والفينومينولوجيا هي علم الموضوعات القصدية للوعي، وتتخذ شعارًا لها ((إلى الأشياء ذاتها))، بمعنى أننا ينبغي أن نواجه الأشياء بالضبط كما نخبرها في الوعي، وبمعزل عن أي فروض مسبقة نظرية أو ميتافيزيقية، لا أن نواجهها كأشياء بأي معنى آخر، إذ ينبغي أن نعود إلى الخبرة ذاتها، أي عالم الشعور المحض أو الذاتية الخالصة[3].

---

([1]) أشرف منصور، مرجع سابق، ص25، 26.

([2]) Husserl, Formal and Transcendental Logic, P. 235.

([3]) عادل مصطفى، مرجع سابق، ص190 وما بعدها.

**ثانيًا– الرد الفينومينولوجي (الإيبوخيه):**

إذا كانت فكرة القصدية تعتبر من الأسس والعناصر الجوهرية في التحليل الفينومينولوجي، فإن هذه الفكرة تعتمد بدورها على ما سماه هوسرل بعملية الرد التي حدَّد وظائفها وأبرز مكانتها في فكرة القصدية خاصة وفي الفينومينولوجيا عامة[1]، ذلك أنه لتحقيق حد أدنى من الوعي بنقاوة الأسس وخلوها من الفروض المسبقة، وهو متطلب أساسي للموقف الفلسفي الحقيقي، قدَّم هوسرل منهج الرد الفينومينولوجي أو الوضع بين أقواس أو الإرجاء أو الإيبوخيه، وهي من الكلمة اليونانية Epoche التي تعني التعليق أو التوقف Suspension أي تعليق الاعتقاد أو التوقف عن الحكم، وهذا الرد هو قلب المنهج الفينومينولوجي، فالذي يبقى بعد اطِّراح كل الفروض المسبقة عن الأشياء هو وحده اليقيني والضروري عن هذه الأشياء[2]، فالتعليق والرد متداخلين لديه، فبعد تعليق الحكم، وهو المعنى المُتضمَّن في مصطلح الإيبوخيه، يتم رد الموضوع إلى الوعي بهذا الموضوع، أي إلى الإفعال المعرفية التي يأتي بها الموضوع للوعي، وبذلك يكون الرد إلى المجال القبلي الذي يتأسَّس فيه الموضوع، ولذلك يسميه هوسرل الرد الفينومينولوجي الترنسندنتالي، بمعنى رد الخبرة إلى المجال القبلي الترنسندنتالي الذي ينظر إليه هوسرل على أنه مجال الوعي الخالص، وبهذا يرى البعض أن الإيبوخيه والرد كلاهما يهدف إلى الوصول إلى نفس المجال القبلي الترنسندنتالي الذي انطلق منه كانط[3].

فالإيبوخيه هي خطوة ضرورية في منهج الرد الفينومينولوجي؛ لأنها تعمل على تجاوز المواقف والأحكام المسبقة المتناقضة، التي تعطي الأولوية إما للذات، وإما

(1) سماح رافع محمد، مرجع سابق، ص138.

(2) عادل مصطفى، مرجع سابق، ص193.

(3) انظر: أشرف منصور، مرجع سابق،ص18.

للموضوع، وهذا ما ترفضه الإيبوخيه، ويقول هوسرل: ((إننا نلجأ إلى الإيبوخيه لتغيير الموقف الطبيعي الذي هو الموقف السائد، وذلك ليس لأسباب عرضية بل ماهوية))[1].

ولكي يتحقق هذا الهدف الفينومينولوجي في الارتداد من العالم الطبيعي الخارجي إلى عالم الشعور الداخلي لإدراك الماهيات الحقيقية للأشياء، فإن الرد يكون وفقًا لعمليتين رئيستين كما يرى هوسرل: الأولى: هي الرد الفينومينولوجي المتعالي، الذي نضع فيه كل هذا العالم الطبيعي المادي بين قوسين، ونعلق الحكم عليه مؤقتًا، لكي نفلت من الانبهار به والانغماس فيه، ومن ثم نتمكن من نوجه أنظارنا حينئذ إلى شعورنا الداخلي وإلى فعل الإدراك نفسه، بحيث يتسنى لنا التركيز على موضوعات الوعي كظواهر خالصة، كما تتراءى وتتبدَّى في الوعي[2]. أما الثانية: هي الرد الصوري الماهوي، الذي نقوم فيه بإدراك الصور العقلية والماهيات الحقيقية للأشياء كما تظهر حيةً في الشعور، وحيث تتحقق بالفعل المعرفة اليقينية الثابتة لكل الحقائق الممكنة، بحيث ننظر إلى الموضوعات التي تم ردها إلى ظواهر محضة، لا في جزئيتها وعرضيتها، بل في كليتها وماهيتها، بمعنى ألا نتعلق من الظواهر إلا بما هو كلي ماهوي، وألا تشغلنا الظواهر إلا بوصفها عيّنات أو نماذج لأنماط من الظواهر، فالرد هنا هو رد للظواهر ذاتها (وقد تم حصرها في الوعي) إلى ماهياتها، فالظواهر هي ذاتها الأشياء، ووضع العالم بين قوسين لا يؤثر نهائيًا في طبيعة الظواهر ولا ملامحها، ولا يبقى لنا من عملٍ إزاءها سوى وصفها، فالمنزل مثلًا أمامي الآن، حاضرٌ لوعيي، قد يكون غير موجود فعليًا هناك، ولكن هذا لا يهم الآن، فالمهم الظاهرة وليس الوجود، وينبغي عليَّ أن أكتفي بوصف هذه

(1) إدموند هوسرل، فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة: فتحي إنقزو، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص80 .

(2) انظر: سماح رافع محمد، مرجع سابق، ص141، شايع الوقيان، مرجع سابق، ص16.

الظاهرة وأتحاشى أي منهج يبعدني عنها، كالتعليل الذي يترك المنزل ويبحث في علته، أو التأويل الذي يترك المنزل ويبحث عن دلالاته النسبية المتنوعة في عقول الناس، عليَّ فقط وصف وتحليل ما وصفته، لكي أصل إلى الماهية[1].

وإن كانت الإبوخيه تهدف إلى تجاوز العالم الطبيعي، عالم الخبرة الحسية والموقف الطبيعي للوعي، للوصول إلى الوعي الخالص أو الأنا المطلق، بينما يبدأ الرد الفينومينولوجي المتعالي أو الترنسندنتالي بدراسة كيفية ظهور العالم في هذا الوعي عن طريق رد الخبرة التجريبية والحسية إلى الخبرة القبلية الخالصة؛ إلا أن ما يجمعهما معًا هو استبعادهما للموقف الطبيعي للوعي، والرد الفينومينولوجي الترنسندنتالي ليس معناه أن هناك نوعين من الرد، فالرد واحد، ولكنه فينومينولوجي في طبيعته ومنهجه، وهو ترنسندنتالي أيضًا؛ لأنه يسعى للوصول إلى المستوى الترنسندنتالي، أي المستوى القبلي الذي يتم فيه تكوين الموضوعية عن طريق أفعال الموضعة، أي أفعال الوعي في تأسيس الموضوعية[2].

وجدير بالإشارة، أن الإبوخيه لا تعني إنكار وجود العالم الخارجي (ولا إثباته)، فنحن لا نحذف الواقع الخارجي أو نقصيه أو نلغيه، وإنما نحيِّده ونضعه جانبًا، وبهذه الطريقة يتمكن المرء من بلوغ الموقف الفلسفي القويم، والفلسفة إذ تبلغ هذا الموقف الفينومينولوجي تجاه موضوعات الوعي، لا تشغلها هذه الموضوعات من حيث هي محتويات ذهنية معينة، بل تشغلها من حيث هي دلالات أو معان،

(1) انظر: محمد أبوبكر أبوعزة، خطوات المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل، المجلة الليبية للدراسات، دار الزاوية للكتاب، ع3، يوليو 2013، ص96

(2) راجع: أشرف منصور، مرجع سابق، ص21.

فالإيبوخيه يجرد موضوعات الوعي الظاهرية الخالصة من وجودها أو عدم وجودها، ومن كل ما هو غير جوهري لها لكي تكون ما هي، عندئذ نراها كما هي في ذاتها[1]

**ثالثًا– الأنا الترنسندنتالية (المتعالية):**

يقول هوسرل في التأملات الديكارتية: ((إنني بلجوئي إلى عملية التعليق الفينومينولوجي، إنما أُحيل أناي الإنساني الطبيعي، وحياتي النفسية –مجال تجربتي الداخلية – إلى أناي المتعالي والفينومينولوجي، الذي هو مجال التجربة الداخلية المتعالية والفينومينولوجية. إن العالم الموضوعي الذي يوجد، أو وُجد، أو سيوجد بالنسبة إليَّ، إنما يستمد بكل ما فيه من أشياء، كل معناه وكل قيمته الوجودية، اللذين له في نظري، من ذاتي ذاتها... إنه يستمدها من أناي المتعالي الذي يكشف التعليق الفينومينولوجي المتعالي وحده عنه))[2].

لقد أوضح هوسرل في مقدمة كتابه التأملات الديكارتية، أنه يتفق مع ديكارت في هدفه من إصلاح الفلسفة خاصة وبقية العلوم عامة، لكنه يختلف عنه في طريقة تحقيق هذا الهدف من وجهة نظر جديدة ذات طبيعة ماهوية متعالية، يسعى من خلالها إلى إعادة تشييد الفلسفة باعتبارها وحدة كلية للعلوم على أساس يقيني مطلق، وبداية الانطلاق في هذا الطريق تكون بالرجوع إلى الذات[3]، حيث يقول هوسرل في موضع آخر من التأملات: ((ففي المكانة الأولى، يجب على من يريد أن يصبح فيلسوفًا في الحقيقة، أن ينطوي على ذاته، مرة في حياته، وأن يحاول أن يقلب في داخل نفسه، جميع العلوم المتقبلة حتى ذلك الحين، وأن يحاول من ثمة إعادة بنائها. إن الفلسفة عمل شخصي من أعمال الفيلسوف، على نحو من

(1) عادل مصطفى، مرجع سابق، ص195.

(2) إدموند هوسرل، تأملات ديكارتية أو المدخل إلى الفينومينولوجيا، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، 1958، ص90.

(3) انظر بتوسع: سماح رافع محمد، مرجع سابق، ص153 وما بعدها.

الأنحاء. إن هذه الفلسفة ينبغي أن تنشأ بما هي فلسفته هو، وأن تكون حكمته هو، ومعرفته هو...))[1]

في الفقرة ثانيًا من هذا المبحث، تم التطرق إلى أن الرد الفينومينولوجي، بوصفه عنصرًا من عناصر التحليل الفينومينولوجي، يضع بين أقواس كلًا من العالم الخارجي الطبيعي والافتراضات المرتبطة بالاعتقاد في مثل هذا العالم، غير أن هناك شيئًا آخر يظل عرضة للإبوحيه، وهو الأنا الفردي أو الوعي، فكل فعل للوعي يفترض ذاتًا أو أنا افتراضًا مسبقًا، غير أن ما يهم ليس هو هذه الأنا الخالصة، بل ما هو ماهوي بالنسبة للأنا. هذه الأنا الفردية هي أيضًا يجب أن توضع بين أقواس من أجل أن نعاين ماهية الفرد المفكر نفسه، ومن ثم فإن وجود أي أنا معينة هو أمر غير ذي صلة بتحديد الماهية الكلية للأنا بصفة عامة، ألا وهي "القصدية المحضة". إن ذلك الذي ينخرط في عملية تقويس العالم الطبيعي بما فيه الأنا التجريبية نفسها لا بد أن يكون شيئًا ما. وهوسرل يسمي هذا الشيء "الأنا الترنسندنتالية" التي تقف خارج العالم.

إن ماهية هذه الأنا الترنسندنتالية هي أنها تقف بوصفها شرط سابق لأي فعل ذهني أو لأي خبرة على الإطلاق بما فيها جميع أفعال الرد الفينومينولوجي، فنحن بإزاء بنية ثلاثية للوعي: أنا – أفكر – بموضوع فكري. هذه هي العناصر الثلاثة المتصلة منطقيًا لـ: الأنا الخالصة (الأنا التي تفكر)، والفعل الذهني (الفكر)، والمحتوى (موضوع الفكر).

يقدم هذا التصور فينومينولوجيا ترنسندنتالية كاملة، موضوعاتها النهائية هي مجموعة هائلة من أصناف المعنى أو الدلالة (نوئيما Noema)، ترتبط بأفعال الفهم (نوئزيس Noesis)[2] الخاصة بالأنا الترنسندنتالية. وهذه الأخيرة هي المطلق

([1]) إدموند هوسرل، تأملات ديكارتية، مصدر سابق، ص43.

([2]) راجع: محمد فرحة، المفهوم الفينومينولوجي للنظرية القصدية عند هسرل، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد 31، ع 1، 2009، ص105.

الوحيد، لأنها تبقى بعد كل تقويس أو تعليق، إنها مفترضة سلفًا في كل فعل للوعي أو الخبرة أيًا كان هذا الفعل، حتى فعل التقويس والتعليق نفسه. والأنا الترنسندنتالية هي الشرط المسبق لكل معنى، إنها الشيئ الوحيد الذي لا يمكن أن يطَّرحه الفكر؛ لأنها مفترضة سلفًا في كل تفكير.

وقد نزع هوسرل في المراحل المتأخرة من فلسفته، كما هو واضح من كتابه التأملات الديكارتية، إلى إسداء دور نشط للأنا الترنسندنتالية، وخَلُصَ إلى أنها تشكل وتشيد بطريقة نشطة معنى موضوعات الوعي. فكل اتجاه هوسرل المتأخر قد نحا نحو ضرب من فينومينولوجيا العقل، ابتداءً من تأملاته الديكارتية التي تدور حول بناء العقل وتحليل المتضايفات أو الارتباطات التي يشتمل عليها كل اتجاه قصدي[1]. الأنا الخالصة تمنح الموضوعات معناها الذي يجعلها موضوعاتٍ للوعي. ولكن هذا بحد ذاته لا يفضي إلى المثالية، فلعل الأنا الترنسندنتالية لا تفعل أكثر من أن تدرج عالمًا مستقلًا وجوديًا في مقولات مفهومة أو تصورات معقولة، وبذلك تجعله موضوعًا للوعي، غير أنه إذا كان الواقع الوحيد الذي يمكن أن يعترف به لموضوعٍ ما هو تلك الدلالة التي تسبغها عليه، بشكل نشط، تلك الأنا الترنسندنتالية، يكون الواقع أو العالم معتمدًا وجوديًا على الأنا الترنسندنتالية، وهذه مثالية.

إن نظرة هوسرل تومئ إلى شكل من أشكال المثالية الذاتية (الواقع معتمد وجوديًا على الذات) حيث الوجود كله مرتهن للمعنى الذي تسبغه الذات الترنسندنتالية (أو الذات بما هي كذلك) على الأشياء. وإن كان يظل بالإمكان الرد بأن مثل هذه الدلالات أو الماهيات هي موضوعية من حيث إنها مستقلة عن وجود أي وعي بعينه، وإنها عامة مشتركة تشمل كل وعي بما هو وعي[2].

(1) زكريا ابراهيم، مرجع سابق، ص337.

2 عادل مصطفى، مرجع سابق، ص203.

## خاتمة

نبين في هذه الخاتمة أهم ما تم التوصل إليه من نتائج في هذا البحث، وهي كالتالي:

- إن الفينومينولوجيا هي علم الوعي الخالص، والمنهج الدارس لظهور الماهيات في الوعي، وشعارها الفلسفي الرئيسي هو العودة إلى الأشياء ذاتها.
- لقد كان الداعي الأول لهوسرل في تقديم منهجه الفينومينولوجي هو ما وقف عليه من أزمة في الأسس التي تقوم عليها العلوم الأوروبية، تمثَّلت في تهافت هذه الأسس التي تنطلق من الموقف الطبيعي القائم على افتراضات مسبقة يتم التسليم بها تسليمًا يقينيًا.
- على إثر أزمة الأسس، قدَّم هوسرل الفينومينولوجيا كمنهج من شأنه جعل الفلسفة علمًا كليًا يقينيًا ودراسة وصفية محضة لوقائع الفكر والمعرفة بعيدًا عن كل نزعة تجريبية.
- إن القصدية من أهم مفاهيم وعناصر التحليل الفينومينولوجي من حيث كونها تعبر عن علاقة الوعي بالعالم وبالأشياء، فكل وعي هو وعي بشيء ما، ومن ثم فإن الذات والموضوع والفكر والمُفكَّر فيه متلازمان ومتضايفان وليس بينهما انفصال أنطولوجي، بخلاف الكوجيتو الديكارتي الذي يجعل من العقل جوهرًا مستقلًا عن موضوعاته.
- إن القصدية لدى هوسرل تعتمد بدورها على عملية أخرى مهمة وهي عملية الرد الفينومينولوجي أو الوضع بين أقواس، من خلال التوقف

عن الحكم، وبالتالي تجاوز المواقف والأحكام المسبقة المتناقضة التي ينطلق منها الموقف الطبيعي.

- إن الأنا الترنسندنتالية تقف بوصفها شرطًا سابقًا لأي فعل ذهني ولأي خبرة على الإطلاق، بما فيها جميع أفعال الرد الفينومينولوجي، فهي المطلق الوحيد والمتعالي الذي يشكل ويُشيِّد معنى موضوعات الوعي.

## قائمة المصادر والمراجع


**أولًا- المصادر:**

1- إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، ترجمة: إسماعيل المصدق، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008.

2- إدموند هوسرل، تأملات ديكارتية أو المدخل إلى الفينومينولوجيا، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، 1958.

3- إدموند هوسرل، فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة: فتحي إنقزو، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007.

4- Husserl, Formal and Transcendental Logic

5- Husserl, Logical Investigations

**ثانيًا- المراجع:**

1- أشرف منصور، عناصر التحليل الفينومينولوجي عند هوسرل، متاح بصيغة word على صفحة المؤلف في موقع: www.academia.com، ص4، تاريخ الدخول: 2021/04/04، عند الساعة: 01:00ص.

2- أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1984.

3- جان هرش، الدهشة الفلسفية (تاريخ للفلسفة)، ترجمة: محمد آيت حنا، منشورات الجمل، بيروت، 2019.

4- زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.

5- سعيد توفيق، الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992.

6- سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل، دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1991.

7- شايع الوقيان، ماهي الفينومينولوجيا، مسودة كتاب غير منشورة.

8- عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007.

9- عبدالقادر بوعرفة، المنهج الفينومينولوجي في العلوم الإنسانية، اللحظة الإيبوخية أُنموذجًا، مقال متاح على موقع شبكة ضياء على الرابط: www.diae.net ، تاريخ الدخول: 2021/04/07، عند الساعة: 23:10.

10- فتحي المسكيني، أوروبا الأخرى ... مقاطع من نقد العقل الهووي، مقال منشور على موقع مجلة الفيصل على الرابط: www.alfaisalmag.com ، تاريخ الدخول: 2021/04/07، عند الساعة: 23:33.

11- محمد أبوبكر أبوعزة، خطوات المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل، المجلة الليبية للدراسات، دار الزاوية للكتاب، ع3، يوليو 2013.

12- محمد فرحة، المفهوم الفينومينولوجي للنظرية القصدية عند هسرل، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد 31، ع 1، 2009.

13- يوسف بن أحمد، المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، تصدر عن الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية، ع40، 41، 2006.

ثالثًا- المعاجم اللغوية والفلسفية:

1- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج2، باب الظاء، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت-لبنان، 1982.

2- دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوندريتش، ترجمة: نجيب الحصادي، ج2، ظ-ي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، د.ت.

3- معجم التعريفات، الجرجاني، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، باب العين، رقم (1231)، ص130، باب الظاء، رقم (1131).

4- معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2006

5- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.

موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، باريس، المجلد 2، H-Q، ط2، 2001.